

آثار الحرب الكبرى ونتائجها

١٩١٤ - ١٩٢٤

اطلعت على هذه المقالة الممتعة في عدد ديسمبر الماضي من مجلة «التاريخ الجاري» الأميركية وهي من قلم الاستاذ كارلتن هابر استاذ التاريخ في جامعة كولومبيا بنيويورك وقد تجاوز فيها عن الاسباب في ذكر الحرب وسيرها والمؤتمرات الكثيرة التي عقدت بعدها الى بسط النتائج الكبيرة التي نجمت عنها وكان لها اثر باقٍ في سير العرصات فأقرأنا نقلها الى قرأء المقتطف بتصرف قليل

لقد انقضت عشر سنوات كانت مفعمة بالأضطرابات والشدائد والمحن. فيها اضطربت اعظم حرب في التاريخ تعطلت الامم مدى اربع سنوات حتى اشرفت الحضارة على الخراب والندمار ثم تلتها ست سنوات والامم تتخبط في الظلام على شفا جرف هاري ثم اخذت تلتفت الى السلم تمتشف تور التعمير والاصلاح والتقدم ولا شك ان الحرب الكبرى انتجت نتائج كبرى. خاضت خلالها ست عشرة دولة من الدول التي كانت مستقلة قبل نشوب الحرب وثلاث دول استقلت اثناءها او بعدها فوقف خمس عشرة منها معاً في الجانب الواحد والاربع الاخرى اصطلقت قبالتها في الجانب الآخر. واكتفت احدى عشرة دولة غيرها باعلان الحرب دون الاشتراك في القتال او كان لها نصيب قليل منه. ولم يبق من الدول المستقلة سوى تسع عشرة دولة على الحياد وكلها كانت من الدول الصغيرة الضعيفة

جند الحلفاء نحو اربعين مليون جندي وجندت المانيا وحلفاؤها نحو عشرين مليوناً فقتل من هذا الجمع الكبير نحو عشرة ملايين وشوّة نحو عشرين مليوناً عدا الذين لم يشتركوا في القتال ومانوا ذبحاً او مرضاً او جوعاً. سالت الدماء خلال الحرب كالانهار وبددت الثروة حتى كان الريح كانت تسفها وزادت الديون على حكومات الدول المتوسطة اي المانيا وحلفائها نحو ٩ آلاف مليون جنيه وزادت ديون الحكومات في فرنسا وانكلترا واميركا وايطاليا وروسيا نحو ضعف ذلك اي نحو ١٨ الف مليون جنيه وجسييت الاموان الطائلة من الافراد والشركات لمواصلة الحرب. ورافق ذلك نقص في الاتجاج لان الرجال في معظم البلدان الصناعية والزراعية فصلوا

عن أعمالهم المنتجة ليشتروا في الحرب اما مباشرة في القتال او غير مباشرة في معامل الذخيرة . وكانت الاساطيل والجنوش فوق ذلك كله تجرّب وتدعّر معالم العمران فإذا كسبت أوروبا بل ماذا كسب العالم من الحرب الكبرى ؟ ما هي النتائج التي اشترهاها الناس غالبية بالدماء والاموال ؟ أن في الاجابة عن مسائل من هذا القبيل ابلغ العبر التي يلقها علينا تاريخ العقد المتصرم

لا ريب في ان أهم ما لنت نظر الناس بعد عقد الهدنة سمي الساسة والمثاليين لمعالجة المشاكل الاقتصادية الكبرى . فاختلال التوازن في ميزانيات معظم الحكومات والمحطات قبة النقد ومشكلة التعويضات والضرائب الحركية والعمل على حصر الحركة البولشفية في روسيا وتخوين الصناعات والمعامل من أدوات خرب الى أدوات سلم كانت ولا تزال أكبر الحوائث في سبيل إعادة المياه الى مجاريها في الانتاج العام والتجارة الدولية . ولكن الانسان بطبعه ينجح الى العمل اذا لم تشغله الحرب او شاغل غيرها عن ذلك وسبب ما تراه من التحسن القليل في احوال العالم الاقتصادية بعد انتهاء الحرب هو هذا العمل البطيء

فلقد تحولت المعامل من صنع الذخيرة الى صنع المواد التي يحتاج اليها الناس في معيشتهم السلية ونحذى زعماء البلاشفة عن معظم المبادئ المتطرفة التي جأروا بها اولاً واعترفت بحكومتهم اكثر الحكومات الكبيرة عدا حكومة الولايات المتحدة . وحلت المعاهدات التجارية محل الاختلافات الحركية بين دول أوروبا المتوسطة . ودخلت مشكلة التعويضات التي اعيت الساسة والحبراء في دور جديد بعد انشاء تقرير دوز الشهير ببشر محل هذه العقدة السياسية الاقتصادية . ومع ان النقود في معظم البلدان لا تزال ككثيرة الثقل نرى انها آخذة في الاستقرار على اساس ثابت وقد تساوت الإيرادات والنققات في ميزانيات بعض الدول

اثر الثورة الروسية

على ان ثلاثة انقلابات كبيرة سيكون لها اثر في العمران أكبر من اثر التعويضات وتقلب اسعار النقود وما رافقها من الاضطرابات المالية التي تلت الحرب وهذه الانقلابات هي الثورة الروسية وتغيير حالة الفلاح الاوربي ومصير اشتركية ماركس (١)

(١) كارل ماركس اشتركي الماني يد أكبر زعيم للاشتركية (١٨١٨ - ١٨٨٣)

حدثت الثورة الروسية سنة ١٩١٧ عجبت الحرب حدوثها ولكن أسبابها ابدت اصولاً من السنوات العشر التي حصرنا بحثنا فيها الآن. كذلك ستكون نتائجها وآثارها موضوعاً للبحث والاستقصاء في الاجيال المنقبلة. ولقد بقي رجال حكومة السوفييت في روسيا رغمًا عن المقاومة العنيفة التي قام بها معظم الدول الكبيرة اكثر مما بقيت كل جماعة سياسية تسلمت زمام الاحكام في البلدان التي قاومتها. ولا تنكر ان روسيا لم تستطع ان تنتصر على العالم بنشر مبادئ البولشفية فيه ولكن العالم لم يستطع ان ينتصر عليها بعد. وقد تدركت الثورة الروسية الآن لتسير في الجرى الطبيعي كاعظم تجربة اجتماعية في هذا العصر.

اما حالة الفلاح الاوربي فتبحث على الرضى والامل الكبير. فقد زاد عدد الملاك من الفلاحين في اوربا زيادة كبيرة وكانت المحاصيل الزراعية قد زادت اسعارها اثناء الحرب فلم تتأثر الزراعة بالفوضى الاقتصادية التي تلت الحرب والهدنة كما تأثرت الصناعة. وساعد هبوط اسعار النقد كثيرين من الفلاحين في معظم ممالك اوربا المتوسطة على ان يوفوا ما عليهم من الديون وما على اراضيهم من الرهونات بنقود الورق الرخيصة. وحملت الضرائب العالية على الاملاك في بلاد الانكليز كثيرين من كبار الملاك على بيع اراضيهم لصغار الفلاحين باسعار مناهضة. وجاءت هذه النتائج ذاتها في روسيا على اثر الثورة الروسية. واحتتمت الحكومات في رومانيا وبعض الممالك الجديدة في اوربا التي نشأت بعد الحرب الكبرى بين القوانين لتوزيع الاملاك الواسعة التي يملكها ائراد قلائل من الاثنياء او الاشراف على الفلاحين الصغار. وقد سار هذا العمل في اوربا حتى نستطيع القول ان العمران الاوربي سيقوم في الجيل القادم على اركان متينة من مملك الفلاح فذا سار هؤلاء الفلاحون المتحررون على مبدأ التعاون في تنظيم امورهم كان لهم شأن كبير في وقاية الحضارة الاوربية وحفظها من الاضمحلال.

ولا يخفى ان الاشتراكية حرّكت املاً كبيراً من جهة واثارت مخاوف عظيمة من جهة اخرى. فقد انقضت سبع سنوات ومقاليذ الامور في روسيا بيد جماعة من الاشتراكيين. ولم يتحصر نفوذهم في روسيا بل كان لهم شأن كبير في الثورات التي حدثت في المانيا والنمسا والمجر سنة ١٩١٨ وظهرت آثار مساعيهم في ايطاليا وفرنسا وانكلترا. ولكن رغمًا عن ذلك يبدو لنا ان اشتراكية ماركس قد سُزقت تزييقاً

وانقسم اتباعها الى فريقين. ففريق من الاشتراكيين الآف احزاباً اشتراكية نظامية وسمى للتعاون مع حكومات النضيقات المتوسطة ونادى بتطرف البلشيين وعاد فاجياً مبادئ المؤتمر الاشتراكي الدولي الثاني . والفريق الآخر يتألف من البلاشفة في روسيا والاقليات الشيوعية في مختلف الممالك الذين وجهوا سهام ملامهم الى الديمقراطية السياسية ونادوا بوجوب تسليم الحكم للعالم او مندوبيهم وانتقدوا بشدة المؤتمر الاشتراكي الدولي الثاني والشاؤوا في موسكو سنة ١٩١٩ مؤتمراً اشتراكياً سموه « المؤتمر الدولي الثالث » تمييزاً له عن « الدولي الثاني » . وكلا الفريقين قد خالف تعاليم ماركس الاصلية فالبلشفيك يريدون ان يتسولوا بالعتف والقوة بلوغ ما يريدون وهذا يناهي مبادئ ماركس السياسية . والاشتراكيون المعتدلون يدعون الى التسامح والاتفاق مع الاحزاب الحاكمة فيؤخرون بذلك تحقيق مبادئ ماركس الاقتصادية على ان الاشتراكية في اتجاهها الحالي المعتدل تكاد تنفع العالم بوجوب تأييدها رغم خروجها عن مبادئ مؤسسها الاكبر . فعظم الحكومات قد وسعت نطاق اعمالها وحددت الحرية الفردية الى حد ما اثناء الحرب وبعدها وصارت مركزية تدبر معظم شؤون البلاد من مقرها في العاصمة ولم تعد تسمع في اوربا بالاستقلال الاقتصادي الفردي وترك الامور تجري مع التقدير . واذا بحثنا عن الذين ادخلوا هذا التمديد الكبير في النظام الاوربي وجدنا انهم مشرعون وساسة ديمقراطيون لا من اتباع ماركس الذين لا يجيدون عن مبادئ قيد شعرة . ان نظام الحرية يزول امام الاشتراكية الجديدة وقد تكون الديمقراطية السياسية مقدمة للديمقراطية الصناعية

تقرير المصير

ايدت الحرب وما تلاها من معاهدات السلام مبدأ « تقرير المصير » حتى صار جزءاً من قانون الدولي العام . ونظراً الى انظر الماسة في خريطة اوربا فاعادوا رسمها مسترشدين بالمبادئ القومية التي اعتنوها من قبل . فانتشر عقد أربع من الدول الكبيرة التي لم ترتكز سابقاً على مبدأ الاتحاد الجنسي في تكوينها وهي الامبراطورية النمساوية المجرية والمانيا وروسيا وتركيا . وقام على انقاضها سبع دول جديدة مستقلة هي بولونيا وتشكوسلوفاكيا وفنلندا واستونيا ولافيا ولتوانيا والحجاز عدا جمهوريات المانيا والنمسا والمجر وتركيا ومناطق الانتداب المختلفة في الشرق الادنى . وقد تم

توحيد إيطاليا ويوغوسلافيا ورومانيا واليونان بما حُصم إلى كلٍّ منها من البلدان التي
 تحت أهلها البهاصلة الجنس. واعدت الأزمات والثورات في فرنسا وجانب من مقاطعتي
 شلزيغ وهلسين إلى الدنمارك لحل باعادتها عقدتان قوميتان كانتا في مقدمة مشاكل
 أوروبا السياسية. وصارت ألمانيا بعد أن فصلت عنها البلدان التي بقطها ديماركيون
 وفرنسيون وبولونيون دولة تتألف من عنصر جنسي واحد للمرة الأولى في التاريخ.
 كذلك صارت روسيا دولة روسية بحتة تتحد اتحاداً خارجياً مع دول قومية أخرى
 كاوكرانيا وجورجيا وغيرها فيتألف من ذلك « اتحاد الجمهوريات السوفيتية »
 وصارت جمهورية المجر للمجريين فقط وتركيا للاتراك ولو سمح للنمسا التوتونية أن
 تتحد مع ألمانيا لاصح معظم أوروبا المتوسطة عدا سويسرا منظمياً على سبيل القومية
 وتقرير المصير

وأدى الاعتراف بمبدأ تقرير المصير في أوروبا إلى انقلاب كبير في مختلف الأمم
 خارج أوروبا وكان له شأن كبير في سياستها. وارتفعت الأصوات في أنحاء الامبراطورية
 البريطانية تطلب تقرير المصير وإني الأتراك الاتقيح معاهدة سيفر ووصل صدى
 هذه الأصوات إلى فارس وسيام والصين لحرك فيها المسلمين والمسيحيين والبوذيين على
 السواء لا فرق بين الأصفر والأسود والأبيض. وأقلق اليابانيين في كوريا والأميركيين
 إلى حد ما في بحر كريب والفيلين. وحرك في أيرلندا جماعة السن فين وثورة
 سنة ١٩١٦ في دبلن وما تلاها من الحروب غير المنتظمة بين انكلترا وأيرلندا. وقد
 اضطرت حكومة الانكليز أن تعلن استقلال مصر وأن تمنح الدول العربية درجة من
 الحكم الذاتي وأن توسع نطاق هذا الحكم في الهند. كذلك قد توترت بسببها
 العلاقات الودية بين الفلنخ والواوت في البلجيك وبعثت ديمارك على الاعتراف
 باستقلال جزيرة آيلندا التام فلا يصلها بالدنمارك إلا أن سوى الاعتراف ملك
 وأحد على كليهما. وقد اثار في الولايات المتحدة وجهاً جديداً لأعمال الكوكلكس
 كلان فصار أعضاؤها يناهضون السود فيها وسعوا لتقييد المهاجرة بشيودها المشهورة

وسيجيء في العدد القادم ما بقي من كلام الأستاذ هابر على « النزعة الامبراطورية
 الجديدة » و « الديمقراطية السياسية » و « جمعية الأمم » كأنثار من آثار
 الحرب الكبرى